بين القومية والإسلامية: عودة نحو المستقبل في العالم العربي

الأمير هشام بن عبد الله العلوي

القدس العربي : 2009/8/8م

يعيش العالم العربي تحت وطأة الرجة الاقتصادية العالمية إلى جانب أزمة ظلت لعقود في طور الكمون وهي أزمة الشرعية. والحال أن لا أحد سواء من الفاعلين أصحاب النيات الحسنة أو الحكام الذين يقيمون حكمهم على العنف والبطش، تمكن من حل هذه الأزمة التي يمكن تبينها من خلال الكولونيالية الجديدة أو عملية دمقرطة ناقصة أو صراع ثقافي وديني.

وقد تجلت أزمة الشرعية في شكل مجموعة من التفاوتات يمكن القول إنها تشكل هوة سحيقة تفصل بين الحكام والمحكومين، والعلمانيين والأصوليين الدينيين، والفئات الفقيرة والنخب. وقد تؤدي هذه الأزمة في مناخ من الجمود الاقتصادي السائد إلى وقوع مجموعة من الانفجارات الخطيرة التي لا يمكن لأي كان أن يتوقعها.

وإن نحن أردنا تفادي هذا الأفق المظلم، علينا أن نستخلص العبر والدروس من تاريخنا الخاص فلقد مرت علينا فترات زاهية من البطولات اتحدت فيها كلمتنا وحالفنا فيها النجاح، وكل ذلك باسم 'القومية العربية'، وهو مصطلح ميز- بل وأذكى عزيمة- مجموعة من الحركات والفاعلين الذين أحدثوا في المنطقة تغييرات كبرى. ولا يمكن الاستهانة بالعمل الجبار المتمثل في القضاء على الاستعمار، والفضل في ذلك للقومية العربية التي ربحت تلك المعركة وساهمت في مد الجسور بين الدول الناشئة داخل ما يسمى بـ'العالم الثالث'. ومن الطبيعي أن هذه الحركة كغيرها من الحركات الإصلاحية لم تكن تتصف بالكمال، فقد انحرفت عن مسارها وطالها الكثير من الفساد، ولكنها وفرت للشعوب المكافحة من أجل تقرير مصيرها أفقا وحدويا ومستقبلا واعدا بمنأى عن المصالح الفردية والعقدية والوطنية، ضمن مشروع جمع بينها في إطار عمل جماعي موحد. وهذه الرؤية الوحدوية، بل الكونية، لم يعد لها وجود اليوم، مع أن عناصرها ما زالت تسكن مخيلتنا، وليس أدل على ذلك من المظاهرات التي تنظم لدعم

القضية الفلسطينية، من قبيل تلك التي نظمت خلال الحرب الإسرائيلية في كانون الأول (ديسمبر) 2008- كانون الثاني(يناير) 2009 ضد قطاع غزة.

ورغم المحاولات الجاهدة التي تقوم بها الحكومات الغربية وضغوطاتها على الدول 'الصديقة' بالمنطقة، سعيا لإذكاء الصراع بين مختلف الشعوب، فإن الطوائف الدينية والعلمانية والشيعية والسنية والعربية و'الفارسية'، من بلدان المغرب والخليج تعمد دوما إلى لم صفوفها كاشفة عن دعم لا محدود للفلسطينيين. ومن قبيل المفارقة أن هذا التوجه الوحدوي يعبر عن نفسه أيضا في دعم بعض أشكال الأصولية، بدءا من تيارات المتصوفة وغلاة المتدينين، وانتهاء بالسلفية الوهابية، وهي تيارات تثير خوف الغرب والعلمانيين العرب، غير أنها تجسد البحث عن المعنى والرغبة في انبعاث أمة موحدة. ولا عجب أن حلت الأمة المؤمنة أي جماعة المؤمنين محل الأمة العربية الكبرى في المتخيل السياسي، وأن التيار الإسلامي قد نزع من يد القومية العربية راية المقاومة، فهذه الأخيرة عرفت العديد من الانتكاسات، علاوة على أن الإيمان الإسلامي ظل حاضرا بقوة في مجتمعاتنا طوال التاريخ. وهذان التياران هما مع ذلك متداخلان مترابطان أشد ما يكون الترابط، أكان ذلك في صيغة تكامل أو تنافر وتطاحن.

نبوءة صادرة عن مؤسس البعث

كانت القومية العربية تتوق وهي في أوجها إلى أن تصبح قومية شاملة جامعة. فالصراع من أجل التخلص من الاستعمار باسم الوطنية، كان لزاما أن يفضي إلى نوع من الوحدة بين الأقطار وصولا إلى القومية التي ستسمح بمواجهة بعض القضايا من قبيل القضية الفلسطينية أو قضية التبعية الاقتصادية للغرب. وقد اتبعت القومية العربية مسارا متقلبا، فهي قد بلغت مداها سنة 1956 عندما أفلحت مصر بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا من إحباط محاولة إنجلترا وفرنسا وإسرائيل متحدين وضع اليد على قناة السويس؛ وهي عرفت نكوصا ملحوظا بعد حرب الستة أيام في حزيران (يونيو) 1967، بيد أنها انبعثت من رمادها سنة 1973 مع حرب أكتوبر ضد إسرائيل والحظر النفطي. غير أن مختلف حركات التحرير انتهى بها الأمر إلى أن تنكفئ حول مشروع وطني بحت داخل القطر الواحد،

لتنكمش على نفسها في شكل دول يقودها الحزب الوحيد أو 'زعيم مدى الحياة'. ومع ذلك، فرغم الصراعات المحتدمة بين الحكومات العربية لبسط هيمنتها على المنطقة، فلقد ظل حاضرا في المستوى الشعبي نوع من التطلع إلى أمة عربية تتجاوز الأقطار المعزولة، يجمع بينها تراث إسلامي مشترك. وألفى التيار الإسلامي الصاعد نفسه مجبرا على تقبل بل وتبني مواقف شقيقه القومي العلماني وتلقي بعض الدروس منه، فحزب الله الشيعي لم يكن ليلقى النجاح في لبنان لو لم يعمد، من بين أمور أخرى، إلى التعالي على الانتماءات العقدية، مقدما نفسه كمدافع أمين عن الاستقلال الوطني.

ومن الناحية التاريخية، فإن القومية العربية والتيارات الإسلامية تتقاسما العديد من المبادئ، من قبيل السعي إلى إقامة وعي جماعي موحد والرغبة في إحياء اللغة والثقافة العربية، لتضاف إليهما بعد الحرب العالمية الثانية معاداة الإمبريالية. ففي العشرينيات من القرن الماضي، قاد مجاهدو منطقة الريف في شمال المغرب بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي حملة قومية إسلامية وظفوا فيها الشريعة كسلاح إيديولوجي لمحاربة المستعمر الإسباني. وفي سنة 1952، استولى 'الضباط الأحرار' على الحكم بقيادة جمال عبد الناصر بدعم من الإخوان المسلمين. ولم تتردد 'الجبهة الوطنية للتحرير الوطني' في الجزائر في استعمال بعض المصطلحات من قبيل الجهاد والمجاهدين في خطابها الموجه إلى سكان البوادي. ويمكن القول أيضا إن تحالفا جمع سنة 1973 بين القومية العربية ممثلة بمصر والملكيات الإسلامية المحافظة بقيادة العربية السعودية لتوظيف سلاح البترول ضد الغرب بسبب الصراع العربي–الإسرائيلي. كما أن حزب البعث استعمل مرارا وتكرارا مفهوم الأمة للدلالة على الأمة العربية. وقد سبق لميشيل عفلق مؤسس القومية العربية وأحد المناضلين العلمانيين، أن أدرك أن 'العلاقة بين الإسلام والعروبة ليست كعلاقة أي دين بأي قومية'. وهذه النبوءة تأتي بعد قوله: 'سيأتي يوم سيجد فيه القوميون أنفسهم مدافعين وحيدين عن الإسلام، وعليهم أن يبعثوا فيه معنى خاصا، إذا هم أرادوا أن يظل للأمة العربية سبب وجيه للبقاء' (انظر الإطار المقابل).

قومية الاسلاميين

تحققت نبوءة عفلق، ولكن في الاتجاه المعاكس، فالإسلاميون هم الذين أصبحوا المدافعين الوحيدين عن القومية، إذ لا يخفى على أي كان أن يلحظ اليوم كيف أن الإسلاميين تملكوا بعض العناصر من خطاب القومية مقدمين أنفسهم كتيار يقف في وجه الهيمنة الغربية ويسعى إلى تكريس الاستقلالية الثقافية والوطنية. ومن سخرية الأقدار أن الغرب والحكومات العربية الرجعية عملت طوال عقود على تضخيم الخلافات القائمة بين القومية والإسلامية واللعب عليها عن طريق تشجيع التيارات الإسلامية المحافظة، مما يدل على أن العلاقة بين الإسلامية و'الهيمنة الغربية' ليست 'خالصة' وخطية كما يظن البعض، أتعلق الأمر بالإخوان المسلمين بمصر الذين وظفتهم المخابرات البريطانية ضد عبد الناصر؛ أم بخلفهم في فلسطين أي حماس التي كانت تحظى في السابق بدعم إسرائيل للتصدي لمنظمة التحرير الفلسطينية؛ أم بـ'العرب الأفغان' الذين حاربوا لصالح الولايات المتحدة الأمريكية' ضد 'الشيوعية الملحدة'. فالإسلاميون لم يجدوا إذن غضاضة في أن يتحالفوا مرات عديدة مع قوات أجنبية تسعى إلى بسط نفوذها في المنطقة، وأن يحصلوا على دعمها وأموالها. ويشكل الانتصار في أفغانستان وانسحاب القوات السوفياتية من هذا البلد التجسيد الأمثل لشبح القومية العربية المتلاشية في تحولها إلى وحدة إسلامية. فالإسلاميون بإمكانهم أن يحتموا بقوة الإلهام الديني مقابل الضعف الذي ينخر القومية التقليدية، بيد أنه يصعب عليهم أن يقدموا إنجازهم هذا كمثال يحتذى به. ألم يجنوا هم أيضا الثمار الدانية من تحالفهم مع الغرب؟ والدليل على ذلك هذه الشهادة التي أدلى بها عميل سابق لوكالة الاستخبارات الأمريكية خلال الحرب الباردة حول 'السر الدفين الوسخ' لواشنطن. ففي تلك الفترة، 'كان الإخوان [المسلمون] حليفا في الظل، وسلاحا سريا موجها ضد وهل بالإمكان أن نتصور عدوا آخر؟- الشيوعية'. وكنا نقول لأنفسنا 'إذا قبل الله أن يحارب بجانبنا، فسيكون ذلك أمرا جيدا' . والأمر نفسه بالنسبة إلى الإسلاميين: 'إذا قبلت أمريكا أن تحارب بجانبنا، فسيكون ذلك أمرا جيدا'. وفي الواقع، فإن 'السر الدفين الوسخ' للإسلاميين والقوميين العلمانيين معا يتمثل في أن لا أحد في السياسة 'طاهر' وبمأمن من التواطؤ مع القوات الأجنبية تواطؤا قائما على المصلحة.

يجب علينا أن ندير الظهر لعملية الرقص القاتل هذه القائمة على تبادل الاتهامات، فهي في نهاية المطاف ستنقلب ضدنا وضد الغرب. فهي قد شوهت ونسفت من الأساس شرعية حركات تحرر قومية كبرى بالجزائر ومصر؛ وحولت الإسلام إلى مذهب للتفرقة، عاملة على خلق هوة فاصلة بين العلمانيين والإسلاميين، وبين منطقتنا وباقي مناطق العالم. وهي أيضا أججت خطابا وممارسة للتطرف المسلح اللذين انقلبا ضد الغرب، كما انقلب كائن فرانكنشتاين على خالقه.

الصراع السني الشيعي

وإن آخر تجسيد لهذه الاستراتيجية يتمثل في تحويل الصراعات اللاهوتية والاجتماعية بين السنة والشيعة إلى شرخ جيوسياسي يفصل بين العالم العربي وإيران. وهذه الخطة التي سعت كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في عهد المحافظين الجدد إلى تحقيقها على أرض الواقع خدمة لمصالحهما على المدى القريب، لا تخلو من صفاقة وقحة، خاصة وأننا نعرف أن هذين البلدين كانا يقفان سابقا بجانب طهران ضد القومية العربية، وفي الستينيات والسبعينيات كانت إيران القوة الوحيدة التي تحظى بكرم وأريحية هذين البلدين، لتأتي الثورة الإسلامية لتجعل منها 'العدو الأول'. ومع ذلك، فإن الاجتياح الأمريكي للعراق سنة 2003 هو الذي أطاح بأقوى معاقل القومية العربية، مانحا بذلك إيران فرصة تقوية نفوذها وموقفها في المنطقة.

مهما يكن، فهذ التوتر القائم بين السنة والشيعة وبين العرب و'الفرس' الذي تغذيه مثل هذه الخطط المبيتة، ليس من صنع الغرب، وإنما هو يعود بجذوره إلى الحقب الأولى من تاريخ الفتوحات الإسلامية. ففي جزء من المتخيل الإسلامي تختفي الرغبة في بعث قومية سنية، هي نوع من السلفية المذهبية التي تجمع بين طهارة الإسلام والقومية العربية، كل ذلك في مواجهة ما يوصف بشيعة متزندقة وبلاد فارس توسعية. وهذا التوجه الخطير يجد تعبيره الأوضح في أشكال العنف الديني التي يشهدها العراق وآسيا الوسطى، موقعة من طرف تنظيمات مختلفة تنسب نفسها للقاعدة. والحال أن هذه الاستراتيجية التي ينهجها كل من الغرب والحكومات العربية الرجعية لا تقوم على أساس منطقي. فهي تستخدم في مواجهة

إيران التي تعد إحدى الدول القليلة التي استفادت من التدخل الأمريكي في العراق سنة 2003، وهو تدخل ساعد على خلق الاستقرار في هذه الدولة التي بإمكانها المساهمة في إعادة السلام إلى أفغانستان. كما أن هذه الاستراتيجية تسعى إلى الإيهام بأن حماس وهي منظمة وليدة الطائفة السنية للإخوان المسلمين– هي كائن شيعي خلقته طهران في الخفاء. كما أنها تدفع من جديد بعض القوى في واشنطن وحلفائها الإسرائيليين والعرب إلى اللعب بالنار واستخدام بعض المجموعات السنية الجهادية من لبنان في العراق.

ومن الأكيد أن الصراع بين السنة والشيعة سيقضي على النزوع إلى الوحدة الإسلامية، مثلما سبق أن طوح التركيز على المصالح القطرية الضيقة بنزعة القومية العربية. ويبدو أن العديد من الأنظمة والشعوب قد وقفت في وجه هذه الاستراتيجية. وبغض النظر عن المخاوف التي تستشعرها الدول العربية، فإنها شددت على أن تتم تسوية المشكلة النووية الإيرانية في سياقها الإقليمي، على أن يتم أيضا طرح الأسلحة النووية الإسرائيلية على طاولة المفاوضات. ومنذ سنوات عديدة، والشعوب العربية من المحيط إلى الخليج، أيا كانت توجهاتها المذهبية، ما تنفك تعبر عن دعمها لحزب الله وحماس، لا لأنهما من الشيعة أو السنة، بل لأنهما صمدا في وجه الاعتداءات الإسرائيلية، هكذا رأينا شيعة يساندون قائد حماس إسماعيل هنية، ورأينا أيضا سنيين يلوحون بصور حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله.

القومية الثالثة

ففي هذه اللحظات، يمكننا أن نلمس قوة التطلع إلى وحدة عربية وإسلامية، وحدة بإمكانها أن توفر الكرامة والعدل والاستقلال الحقيقي. وإذا كنا نرفض فكرة أن الحركات الإسلامية هي الكفيلة بتحقيق الحلم القومي، علما منا أنها غالبا ما شوهته ووجهته توجيها خطيرا، فعلينا في المقابل أن نقبل فكرة أن هذه الحركات مدت ذلك الحلم بنسغ المقاومة والطاقة الجماعية الفوارة، كما أنها أبانت عن فعالية كبرى وهي تجعل من نفسها المعبر الأمين عن هذا الشعور الشعبي. يبدو إذن أن التيارات الجديدة للمقاومة التي يقودها الإسلاميون في الأغلب الأعم تساهم، ربما رغما عنها، في انبعاث القومية العربية.

وإلى جانب القومية التقليدية ما بعد الكولونيالية المتجمدة في قبضة أنظمة سلطوية قديمة، وأشكال المقاومة شبه القومية التي تعبر عن نفسها من خلال الحركات الإسلامية، يوجد نوع آخر من القومية عبر الوطنية، وهي علمانية التوجه، وإن كانت تعلن انتماءها إلى الهوية العربية الإسلامية معتزة بتلاقحها وثقافات العالم ولغاته. وهذا النوع من الوعي الذي يطبع متخيل جزء كبير من شبابنا، ينعكس في وسائل الاتصال الدولية الحديثة (الجزيرة انترنت، فيس بوك، الخ.)، وفي الشبكات التي تربط بين فئات المهاجرين وبلدانهم الأصلية، وفي الأشكال الثقافية واللغوية المفتوحة غير المقعدة التي تسمح بها تلك الوسائل. والخطاب نفسه قد تغير، فلم تعد الإحالة تتم فقط إلى حقوق الفلسطينيين أو العرب، بل إلى مبادئ القانون الدولي، ما يدل على نوع من التوجه الكوني، كما عاينا ذلك خلال مظاهرات التضامن مع غزة.

وهذه 'القومية الثالثة' الناشئة لا تربطها أية علاقة بالحكومات والأنظمة، ولا تتوفر على أي برنامج سياسي رغم أنها تعلن انتماءها إلى الوعي الوحدوي القومي الإسلامي، كما أنها تدين السلطوية المحلية والفساد، وتصبو إلى إقامة الديمقراطية ودولة الحق والقانون، رافضة رفضا قاطعا كل تدخل عسكري أجنبي. وهي تدافع باعتزاز عن الهوية العربية والإسلامية، داعية إلى الحداثة الفكرية والتنوع الثقافي. وهي أيضا لا تخفي انخراطها في النضال من أجل الاستقلال والعدالة في العالم العربي الإسلامي، خاصة في إطار تضامنها مع القضية الفلسطينية، كما أنها واعية بإنجازات الحركات السياسية الغربية والعربية وبإخفاقاتها. أمعنى ذلك أن نقول وداعا لقومية الآباء والأئمة؟

ربما لم يحن بعد أوان الإجابة عن هذا السؤال، فهذه 'القومية الثالثة' ما زالت تفتقر إلى الفعالية، وتسعى إلى نوع من الانسجام السياسي وأشكال من التنظيم للملمة صفوفها، كما أنها تجد صعوبة كبرى في إسماع صوتها المغيب داخل ضجيج المواجهة بين اللغة الخشبية للدولة وخطابات الوعظ والإرشاد الإسلامية، سيما وأن شعوب المنطقة عرفت الكثير من النكسات بدءا من هزيمة 1967، مرورا باحتلال العراق، وانتهاء بالمحاولة الأخيرة لتأجيج المواجهة بين السنة والشيعة– إلى حد أنها استبطنت شعورا بالعجز.

تفضي هذه الوضعية المسدودة في مجتمعاتنا إلى طلاق 'على الطريقة الإيطالية' بين ثلاثة أطراف لا تتبادل الحديث وإنما تكتفي بالعيش تحت سقف واحد: الدولة وأتباعها، والقوى العلمانية والتقدمية، والتيارات الإسلامية. بيد أن هناك عنصرا جديدا أتت به الأزمة الحالية، وهو عنصر يثير البلبلة وعدم الاستقرار وإن كان يحمل معه العديد من التطورات غير المسبوقة. ففي مواجهة تردي الأوضاع الاجتماعية، لا يملك الإسلاميون أي برنامج اقتصادي فعال يقترحونه، ما عدا تطبيق الشريعة، وهو برنامج يمكن أن يكون ناجعا إن هو ساهم في القضاء على الجريمة والفساد، وفي فرض النظام وإقرار الأمن داخل وسط صعب. غير أن مفهوم الإسلاميين للعدالة الاجتماعية ينتمي إلى مجال الفعل الخيري وليس السياسي، إذ يتعلق الأمر بتخفيف العبء عن الفقراء عن طريق الصدقة، عوض تقليص الفقر عن طريق فرض تغييرات بنيوية. والحركات الإسلامية نفسها تشكل بالنسبة إلى الأغنياء المحافظين مجالا خيريا، فهؤلاء يفضلون إدانة ابتعاد الدول العلمانية عن الدين عوض أن يرفعوا التحدي المتمثل في ضروب الظلم اللصيقة ببنيات الملكية الخاصة نفسها، وهم أيضا ينظرون إلى أشكال المعارضة الاجتماعية على أنها نوع من الفتنة التي هي عند المسلمين مرادفة للفوضى والصراع.

الإخوان المسلمون في مواجهة الحركة الاجتماعية

نذكر في هذا السياق أنه عندما انتفض عشرات الآلاف من الفلاحين المصريين ضد التراجع عن الإصلاح الزراعي الذي قام به عبد الناصر، وضد إعادة أراضيهم لكبار الملاكين، فإن الإخوان المسلمين انحازوا لسياسة الخوصصة التي انتهجتها الدولة، كما أن الإضرابات والمظاهرات العمالية التي شهدتها منطقة النيل في ربيع 2008 كان وراءها مناضلون تقدميون . إضافة إلى ذلك، فإن النضالات من أجل الرفع من الأجور واحترام الأحكام الدولية المتعلقة بحقوق الشخص لاقت ترحيبا كبيرا في أوساط الفئات الشعبية، ليجد الإخوان المسلون أنفسهم مضطرين إلى الاصطفاف خلف هذه المطالب ولكن بشكل ملتو، وهنا يجب التنصيص على أنه علاوة على أن هذه النضالات لم يكن وراءها الإخوان المسلمون، فإن المطالب التي رفعها المتظاهرون بعيدة كل البعد عن برنامج الإخوان، فمثل هذه الأعمال

النضالية تمرد الجوع، المظاهرات من أجل الأجور في قفصة (تونس) وسيدي إفني (المغرب)- كلها كانت بقيادة قوى اليسار، أما الإسلاميون فقد ظلوا على الهامش. ويبدو أن الإخوان المسلمين لا يميلون إلى الانخراط في مثل هذه الأعمال، لا سيما وأن لا دراية لهم بكيفية قيادتها وبخطابها ومحاورها. ومع ذلك لا يمكن إنكار أهميتهم المتزايدة، لأنهم يتيحون للتقدميين إمكانات غير مسبوقة للدفع إلى الأمام بأفكارهم حول العدالة والحقوق الاجتماعية . ويبقى لزاما عدم الإفراط في التفاؤل، فهذه التحركات النضالية تظل نادرة ومحلية معزولة، فرغم أن القضايا التي تثيرها تتطلب حلولا في المستوى الوطني أو الجهوي، فإن المتظاهرين لا يكونون أحيانا على علم بما يقع على بضعة كيلومترات من منازلهم...

وتعمد الأنظمة من جانبها إلى استعمال كل الوسائل لمنع هذه الحركات من التوحد والتحالف مع الإسلاميين. ولا تتردد في اللجوء إلى القمع، كما أنها تنصب نفسها مدافعة عن بعض الموضوعات الأثيرة لدى الإسلاميين من قبيل امتداح الهوية الثقافية والوطنية، زاعمة الدفاع عن القيم العربية أو الإسلامية المخصوصة عن طريق إدانة خطابات حقوق الشخص والحقوق الاجتماعية بذريعة أنها عناصر غربية دخيلة. ومن شأن هذا الموقف أن يعمق التفرقة بين الإسلاميين والتقدميين دافعا بهؤلاء إلى السقوط في 'كمين هوياتي'.

وتشكل وضعية المرأة خير مثال على ذلك، فمبدأ عمل المرأة قد أصبح إلى حد كبير حقا مكتسبا، ومع ذلك ما زالت هناك بعض أشكال الرفض لكل ما يتعلق بجسد المرأة وبالدور الذي تضطلع به داخل الأسرة.

إن التقدميين وهم يدافعون عن حقوق المرأة يجدون أنفسهم بين نارين، خطاب الوعظ الإسلامي والخطاب القومي حول الشرف. وعليهم أيضا أن يدفعوا عن أنفسهم تهمة التنكر للهوية الثقافية، وفي المقابل، يتم النظر إلى مسألة الحفاظ على البنيات السلطوية، أكانت مرتبطة بالدولة أو الدين، على أنها مقاومة ثقافية للتغريب. وتمثل هذه السياسة الهوياتية الجوهرانية موضوعة حاضرة بقوة في منطقتنا، كما أنها تشكل في الآن نفسه مأساة حقيقية.

طالبان باكستان

وفي باكستان، تبنى الطالبان بحماس كبير مفهوم الصراع الطبقي، وفي وادي سوات، طالبوا بالإصلاح الزراعي، فبعض الملاكين الأغنياء من النخبة شبه الفيودالية الباكستانية تم استغلالهم أولا كدافعي ضرائب محافظين ليتم فيما بعد تجريدهم من أراضيهم وإجبارهم على مغادرة البلد. وقد سمحت هذه الاستراتيجية لطالبان، حسب أحد المسؤولين الباكستانيين: بـ'أن يقدموا من الوعود أكثر مما يفرضون من الموانع حول الموسيقى والتمدرس..وهم أيضا يعدون الناس بإقرار العدالة الإسلامية، وبإقامة حكومة فعالة، وإعادة التوزيع الاقتصادي' . إننا أمام خطاب واضح موجه إلى التقدميين العلمانيين وإلى الأنظمة 'المعتدلة' ومفاده أنه إذا لم تسارعوا بجدية إلى حل المشاكل الملحة من قبيل الفساد والفقر والتفاوتات، فستجدون أنفسكم بعيدا وراء الإسلاميين الذين يعملون على حل تلك المشاكل.

لا أحد إذن يمكنه تجاهل الاختلافات الموجودة بين التقدميين والإسلاميين. صحيح أن كليهما يمكنه أن يرغب بصدق في إقامة 'الديمقراطية'، ولكن من المحتمل أن تأتي لحظة تختلف فيها رؤيتهما جذريا حول الطريقة التي يجب بها إنشاء دولة الحق والقانون الديمقراطية والمحافظة عليها. فالتقدميون يرغبون في إقامة السيادة الشعبية المحدودة بحدود القانون، وفق المعايير القانونية والسياسية المعترف بها دوليا، أما الإسلاميون، فإنهم يريدون منح السيادة المطلقة لإيديولوجيا دينية خاصة تقوم على تأويل خاص للنصوص المقدسة، رغم أنه يوجد وسط الإسلاميين نقاش حول هذه المسألة، فهناك من بينهم من أصبح يميل تدريجيا إلى القول بالسيادة الشعبية كما هو حال الإخوان المسلمين بالأردن، أو حزب العدالة والتنمية بالمغرب.

ومع ذلك، توجد خاصة في سياق الأزمة الاقتصادية العالمية إمكانات لإقامة تحالفات حقيقية يمكن أن يستفيد منها التياران معا، وقد تعود بالنفع أيضا على شعوب المنطقة. ففي المستوى المحلي، ستنظم مظاهرات للتنديد بالبطالة ونقص المواد الغذائية والموارد وارتفاع الأسعار. وسيعمد السكان إلى المطالبة بالشفافية، حيث سيطالبون حكامهم بالحساب ويطالبون أيضا بعدم التهاون في محاربة الفساد. وفي المستوى الجهوي والدولي، ستتكاثر الحركات من أجل دعم فلسطين، والتصدي لتدخل القوى الأجنبية، وإقامة نظام اقتصادي عادل وتطبيق القانون الدولي...

الاقتراع العام وحقوق الشخص

إن المبادئ التي ستسمح بالقيام بعمل موحد وفعال تشبه المبادئ التي استنهضت حركاتنا القومية التاريخية، من توق إلى الاستقلال الوطني، والتزام بالتعاون الجهوي، وانخراط كامل في القضايا الدولية، وتصور لنظام يدافع عن الحرية السياسية ودولة الحق والقانون من أجل الجميع، وأرضية تستهدف تحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي لساكنتنا، وجهود للاستجابة لتطلعات مختلف المجموعات الإثنية والدينية. ولتحقيق هذه الأهداف، على التقدميين أن يربحوا معركة الزعامة والنفوذ، وأن يبينوا أن بناء الديمقراطية واحترام الحقوق الإنسانية هما أداتان ضروريتان وفعالتان لتفعيل تلك المبادئ.

ولقد عاينا خلال الاجتياح الإسرائيلي لقطاع غزة كيف أن هاتين الأداتين ساهمتا في خدمة القضية الفلسطينية، فحماس تتمتع بالمصداقية لأنها تحارب الفساد، وتقف باستماتة في وجه العدوان الإسرائيلي، ولكن أيضا لأنها تستمد الشرعية من صناديق الاقتراع. وفي المقابل، توجد إسرائيل في وضعية ضعف في مجال حقوق الشخص والمعايير القانونية والسياسية والإثنية المعترف بها دوليا. كما أن الأفعال غير القانونية التي تقترفها قد تجعلها تفقد امتياز الإفلات من العقاب الذي يمنحه لها 'المجتمع الدولي' منذ عدة عقود. ومع المعلومات والتحليلات والمعارف التاريخية التي نتوفر عليها في عهد الجزيرة والإنترنت والنضالية العالمية، دون أن ننسى المؤرخين الإسرائيليين الذي يشتغلون في جو من الحرية الذي يجب أن نستلهمه نحن، فإن عدد الذين يدركون أن ما رأوه في غزة في 2008 و2009 ما هو سوى جزء صغير مما لم يستطيعوا رؤيته في 1947-1948، هو في تزايد مستمر.

ووجه المفارقة أن أكبر التحديات المطروحة على القوميين كالتدخلات الأجنبية في العراق ولبنان، قد خلقت فضاءات للتعبئة والوحدة والتعدد والديمقراطية يجب أن نعمل على استثمارها. وقد سبق أن رأينا في التاريخ تجارب شبيهة بهذه الأوتوبيا، فقد كان لزاما على أوروبا أن تمر بسلسلة كانت تبدو لا نهائية من الصراعات الدموية والدينية والوطنية كي

تنخرط في مسلسل الوحدة، ولكن دون أن تتخلى مع ذلك عن استقلاليتها الوطنية وعن الاختلافات الثقافية بين شعوبها.

* أمير من الأسرة العلوية المغربية

عدنان عزام – بين القومية و الاسلامية

تحليل مفيد أعتقد أن المرحلة بحاجة الى رجل بحجم الامير هشام بن عبد الله العلوي ليقود المرحلة الثالثة الجامعة بين العروبة و الايمان و بذلك يتحول الامير من الاحمر الى الاخضر وفقنا الله عدنان عزام رئيس جمعية مسيرة القيم باريس

عبد الكريم شمسي/المغرب –

لن ارتكب جريمة التجريح في حق السيد هشام لكن اتمنى بقوة قبول نشر تعليقي، من المؤكد ان الامير صاحب المقال من اثرى الاثرياء في العالم،و انه ليس اميرا ثوريا يريد قلب اسفل الاوضاع الى اعلاها انما هو يؤيد انشاء مجلس عائلي ليحكم البلاد على غرار ما يوجد في السعودية و يطالب ببعض الاصلاحات الثانوية،الخط السياسي للرجل يتمتع بسقف متدني للغاية

سعد سلام – ما لم يذكره الكاتب او ربما لايعرفه ان هذا التقارب وراءه القذافي

ما لم يذكره الكاتب او ربما لايعرفه ان هذا التقارب وراءه القذافي، وهو الذي احس وعرف باكرا التحولات التي كان العالم بصددها ،فدعى الى خلق ملتقى الحوار العربي الثوري الديمقراطي،وهو مؤسسة لجمع الاسلاميين غير المتعصبين اي المتنورين مع القوميين غير الشوفينيين واليسار غير الدوغمائي،على برامج نضالية مشتركة، واعتماد الحوار كآلية لحل المشاكل ونقاط الاختلاف عكس المواجهات والتصفية التي سادت في ما قبل،وطبعا لم يكتب لهذا المشروع النجاح بالصورة المنشودة ولكنها على الاقل زرعت البذرة وتلتها مؤسسات اخرى كالمؤتمر القومي الاسلامي برعاية السودان ، والفكرة لازالت تحتاج الى دعم والى تطبيق فعلي وتفعيل لانها بالفعل الطريق نحوزبناء المستقبل..

يوسف ابن تاشفين – بعيد عن الحقيقة

لماذا الكاتب يشوه التاريخ ويتهم حماس بان اسرائيل دعمتها لمواجهة العلمانيين. هذا افتراء في حق حماس وحقد دفين على الاسلاميين عموما. فليقل لي من دعم عبد الناصر في ٥٦ ومن ارتمى في احضان امريكا حتى تم حلبه بالكامل ثم الخلاص منه بالاعدام. ومن قال لك ان عفلق وجماعته جاؤوا برساله انبل واشمل من رسالة رب العالمين. بل اقول لك ان من مرتكزات حزب البعث والقوميه هو وقف المد الاسلامي في الوطن العربي لذا شاهدنا ما شاهدناه من قمعها من قبل القوميين والبعثيين. بالله عليك أسرد لي كيف ولدت ومن اوجد القومية العربية ستجد الجواب.

عبده – بروكسيل – زعامة جديدة

يبدو وفق تحليل السيد الامير أننا بحاجة إلى زعامة جديدة تقود هدا التيار الجديد. الأمير بعد أخد ورد وسبر وغور تفتقت قريحته على إعطاءه الزعامةهده إلى ما يسميهم بالتقدميين الدين إليهيم ينتمي السيد الأمير حسب معرفتنا.

FAOUZI ELMIR - ISLAMISM AND NATIONALISM

If we go back to the history, we conclude quickly that neither the nationalism nor the islamism habe nothing to propose to the arab and islmaic world. the mental, intellectual and economic under development of the current arab and islamic world shows that that forces are not able to transform the structures of the societies. these islamic and nationalist forces have only the discours but not th action.The only progressist forces, the communist forces, in the arab world habe been élimited from the political arena.